لنمضِ قدماً في حياتنا

الشيخ ستيفن سنو
من رئاسة السبعين

إن أصغينا إلى الأنبياء ووضعنا الأبدية دائماً نصب أعيننا وتحلّينا بالإيمان وتشجّعنا، استطعنا أن نواجه تحدّيات الحياة التي تباغتنا.

كانت لاشيل ابنة أخ زوجتي خلال سنواتها الأولى تمضي صباح كلّ يوم مع جدّ تها. فربطت الاثنتين علاقة مميّزة إثر تلك الساعات التي أمضيتاها معاً . وسرعان ما بلغت لاشيل الخامسة من العمر وبدأت تتحضّر للذهاب إلى المدرسة . وخلال الصباح الأخير الذي أمضيتاه معاً، قرأت الجدّة سكواير قصّةً لحفيدتها وهي تهزّ لها الكرسي الهزّاز . ثمّ قالت لها: "أمضينا أوقات مرحة كثيرة معاً يا لاشيل وقد حان الوقت الآن لكي تذهبي إلى المدرسة . أحبّك حبّاً جمّاً، فماذا عساي أفعل من دونك؟"

نظرت لاشيل إلى جدّتها بعينيها البنيتين الكبيرتين وقالت لها بحكمةٍ أكبر من عمرها : "أنا أيضاً أحبّك يا جدّتي لكن حان الوقت لكي أمضي قدماً في حياتي."

هذه نصيحةٌ جيّدة لنا جميعاً . علينا نحن أيضاً أن "نمضي قدماً في حياتنا ." فمعظمنا لا يسعى وراء التغيير الجذري ولا يرحبّ به حتّى. إلاّ أنّ التغيير جزءٌ ضروريٌّ من اختبارات الحياة.

يأتي العديد من هذه التغيّرات ونحن نشقّ طريقنا بصورة طبيعية في رحلتنا الأرضية هذه . تتغيّر حياتنا ونحن نمرّ من الطفولة إلى الشباب وصولاً إلى الرُشد وأخيراً الشيخوخة . ومن محطات التغيير البارزة، الدراسة والخدمة التبشيرية والزواج والعمل والتقاعد.

غالباً ما نتردّد في خوض المرحلة المقبلة ورفع التحدّي الآتي . لعلّنا نشعر بارتياح مفرط أو نخاف التغيير أو نفتقد إلى الإيمان. ومن دون شكّ إنّ حضن جدّتنا هو أريح من محن حضانة الأطفال. وقد يستقطبنا دور أهلنا التحتيّ مع ألعاب الفيديو فيه التي لا تعدّ ولا تحصى أكثر من الكليّة أو الزواج أو المسار المهني.

كيف يمكننا إذاً أن نتحضّر أفضلِ تحضيرٍ لمواجهة التغيّرات التي لا مفرّ منها في تقدّمنا في الحياة؟

أوّلاً: اتبعوا الأنبياء. وأصغوا إلى نصائح الإخوة وامتثلوا لها . إذ غالباً ما يُسمِعنا الأنبياء صوت الإنذار لكنّهم يسدون أيضاً نصائح برغماتية وثابتة لمساعدتنا على تحمّل عواصف الحياة. ويذكّرنا الرب في مدخل كتاب المبادئ والعهود: "سواء كان بصوتي أو بأصوات خدامي فالكلّ سواء " (المبادئ والعهود 1: 38). ويساعدنا الأنبياء في تخطّي التغيير والتحدّيات التي تواجهنا باستمرار. وفي هذا الإطار، تذكّرنا ترنيمة الابتدائية بعنوان "Follow the Prophet" (اتبعوا النبيّ) بهذا المبدأ المهمّ إذ تقول: "إن أصغينا إلى الأنبياء ونصائحهم وتبعنا إرشاداتهم، حصلنا على التوجيه طوال الطريق " (*Children's Songbook,* 111).

ثانياً، دعوا الأبدية نصب أعينكم . اعلموا أنّ التغيير والتحدّيات جزء من خطة الله . هذا الوجود الفاني ليس إلاّ فترة اختبار رسمها الله ليرى "إن كانوا سيفعلون جميع الأشياء التي يوصيهم بها الرب إلههم " (إبراهيم 3: 25). ولكي يختبر الله طريقة استعمالنا للقدرة على الاختيار التي منحنا إيّاها، نمرّ نحن البشر بسلسلة من التغيّرات والتحدّيات والمحن والتجارب فيما نتقدّم في الحياة. وهي وحدها قادرة على امتحاننا بشكلٍ صحيح.

وفي هذا الإطار، نقرأ في 2 نافي: "ذلك أنّ التناقض ضروري في كلّ أمرٍ . وإلاّ ... لما كان برٌّ ولا إثمٌ، قداسةٌ ولا بؤسٌ، خيرٌ ولا شرٌّ" (2 نافي 2: 11).

تغيّرات الحياة وتحدّياتها تقدّم لنا فرصةً لننمو ونحن نستخدم قدرتنا على الاختيار للقيام بالخيارات البارّة.

ثالثاً، تحلّوا بالإيمان. لطالما شجّع الرئيس غوردن هنكلي أعضاء الكنيسة ليمضوا قدماً بإيمان (راجع "God Hath Not Given Us the Spirit of Fear," *Ensign,* Oct. 1984, 4). فيما نواجه يومياً عالماً محفوفاً بالسلبية، قد يتسلّل الشكّ والخوف وحتّى الرعب إلى قلوبنا. وقد قال لنا الرئيس توماس مونسن إنّ "الإيمان والشكّ لا يمكن أن يجتمعا في الفكر نفسه وفي الوقت ذاته لأنّ أحدهما سيبدّد الآخر " ("تعالوا إليه بصلاة وإيمان"، رسالة الرئاسة الأولى، آذار 2009، 04163).

ونقرأ في سفر موروني ما يلي: "بدون إيمانٍ لا يكون أيّ رجاءٍ" (موروني 7: 42). علينا أن نرتكز على الإيمان لمواجهة تحدّيات الحياة وتغيّراتها. فبهذه الطريقة نتعلّم ونتقدّم.

رابعاً، تشجّعوا. كثيرون هم الأعضاء في أنحاء العالم أجمع الذين يواجهون تحدّيات على الصعيد الاقتصادي وغيره من الأصعدة. وفي أوقاتٍ مماثلة، من السهل أن نستسلم للإحباط ونشعر أنّنا منسيّون. وقد نصح الرب القدّيسين في أيّام الصعاب الأولى التي مرّت بها الكنيسة أن يكونوا سعداء وقال لهم : "كونوا مرحين يا أطفالي الصغار، لأنّي في وسطكم ولم أترككم قط" (المبادئ والعهود 61: 36).

علّمنا الشيخ جوزف ورذلن في كلمته التي ألقاها في المؤتمر العام الأخير منذ 6 أشهر كيف نواجه الشدّة. وتضمّنت نصيحته التالي: "إن شعرتم برغبةٍ في التذمّر، حاولوا أن تضحكوا بدل من أن تتأوّهوا. فمن شأن الضحك أن يطوّل عمركم ويضيف مسحةً من المرح على حياة من حولكم" ("Come What May, and Love It," *Liahona*, Nov. 2008, 27). وقد يخفّف الضحك وحسّ الفكاهة من وطأة المشاكل التي تواجهنا خلال حياتنا.

لكان من الجيّد لو يمكننا أن نستبق التغيّرات جميعها التي سوف تحدث في حياتنا. قد نتوقع البعض منها. لا شكّ في أنّ كلّ شاب من قدّيسي الأيّام الأخيرة يتعلّم كيف يتحضّر ليكون متفرّغاً للتبشير ويؤدي مهمّةً تغيّر مجرى حياته . وكلّ راشدة عزباء أو راشد أعزب مستحقّين يدركان أهميّة أن يختارا زوجاً أو زوجةً وأن يختما في الهيكل المقدّس. نحن نعرف أنّ هذه التغيّرات آتية وبالتالي يمكننا أن نخطّط لها. لكن ماذا عن التغيّرات التي تُفرض علينا بغتةً؟ هي تغيّرات يبدو أنّنا لا نستطيع أن نسيطر عليها. منها التباطؤ الاقتصادي والبطالة والأمراض والإصابات المضنية والطلاق والموت، وهي أمثلة عن تغيّراتٍ لا نتوقعها أو نستشرفها أو نحبّذها. فكيف نتعامل مع هذه العوائق التي تباغتنا في حياتنا؟

الجواب هو ذاته في كلتي الحالتين. فإن أصغينا إلى الأنبياء ووضعنا الأبدية دائماً نصب أعيننا وتحلّينا بالإيمان وتشجّعنا، استطعنا أن نواجه تحدّيات الحياة غير المتوقعة وأن "نمضي قدماً في حياتنا".

تشكّل حياة الروّاد الأوّلين المثال الأفضل لنتعلّم كيف نتقبّل التغيير ونتخطّى التحدّيات والمصاعب.

لقد تعمّد روبرت غاردنر الابن في الكنيسة في شهر كانون الثاني /يناير سنة 1845 في بركةٍ مجمّدة في منطقة حرجية منعزلة في شرقي كندا. وقد شقّ طريقه مع عائلته بجهدٍ وإيمانٍ إلى نافو وبعد الكثير من المصاعب، وصلوا إلى وادي سولت لايك في تشرين الأوّل/أكتوبر سنة 1847. وبعد أن دخلوا الوادي، خيّموا في مكانٍ معروفٍ بـ"أولد فورت" (الحصن القديم) لا يبعد كثيراً عن مركز المؤتمرات هذا. وهو قد ذكر في سيرته الذاتية التي كتبها بخطّ يده : " حرّرت نيّر ثيراني وجلست على حافة العربة المكسورة التي تُربط بها الحيوانات قائلاً لنفسي إنّني لن أستطيع أن أتحمّل مشاق يومٍ جديد " ("Robert Gardner Jr. Self History and Journal," Church History Library, 23).

بدأ روبرت من الصفر وبنى حياةً جديدةً له ولعائلته . لا شكّ في أنّ السنوات الأولى كانت صعبة، لكنّ الأمور تحسّنت تدريجياً إذ بدأ يبني مع أخيه أركيبالد مطاحن في مدينة ميل كريك وعلى ضفاف نهر جوردان (Jordan River). لكن بعد بضع سنوات، انقلب الدولاب. إذ تمّ تحويل المياه التي تغذّي طاحونه فأمست حصّته من الجدول جافةً. وقد باءت محاولة لبناء قناة طولها 10 كم تصل إلى الطاحون بالفشل.

ومجدّداً أقتبسُ من سيرته الذاتية : "بقيت القناة تتهدّم حتّى تبيّن أنّ المشروع فاشل . مما جعلني أخسر محاصيلي جميعها فضلاً عن أنّ طاحوني توقف عن العمل . وقد نفد مخزوني ولم يبقَ لدي أي مال " ("Robert Gardner Jr. Self History and Journal," 26).

وكأنّ هذا الاختبار لم يكن صعباً بما فيه الكفاية، يخبرنا القسم التالي من سيرته أنّه دُعي ليؤدّي مهمّة في كندا . وبعد بضعة أشهر ترك عائلته وسافر مع مجموعة من المبشّرين إلى موقع عمله بواسطة عربة اليد والباخرة والسكّة الحديدية.

أكمل هذه المهمّة ثمّ عاد إلى عائلته وتمكّن بعد كدّ وجهد من أن يؤسّس نفسه مجدّداً وراح عمله يزدهر.

وبعد بضع سنوات، كان الأخ غردنر يتحدّث مع بعض أصدقائه في مزرعته في مدينة ميل كريك في وادي سولت لايك. قال له أحدهم: "يسعدني أنّك تخطّيت إفلاسك وتغلّبت عليه . إنّك الآن في وضعٍ جيّد شبيه تقريباً بذلك الذي كنت فيه قبل أن تخسر أرزاقك وتذهب لتؤدّي مهمّتك".

أتت إجابة روبرت على النحو التالي حسب سيرته : "نعم، كنت في وضع جيّدٍ في ما سبق لكنّني خسرت كلّ شيء وما يخيفني الآن هو دعوةٌ [لتأدية مهمّة] أخرى". وفي الواقع، بعد بضع ساعاتٍ اتّصل بي أحد جيراني الذي كان يحضر اجتماعاً في مدينة سولت لايك وقال لي إنّ اسمي كان من بين مجموعة أسماء دُعيت اليوم للذهاب في مهمّةٍ إلى الجنوب من أجل بناء مجموعةٌ استيطانية جديدة وزرع القطن. وكان علينا أن نغادر فوراً".

ويضيف قائلاً: "*التفتت حولي ثمّ بصقت ونزعت قبّعتي وحككتُ [رأسي] وفكّرت وقلت: "حسناً*" (Robert Gardner“ .(Jr. Self History and Journal,” 35

عرف روبرت غاردنر كيف يتعامل مع التغيير في حياته. وقد تبع نصيحة الإخوة وقبل الدعوات إلى الخدمة حتّى لو لم يكن الأمر يناسبه. وهو كان يحبّ الرب حبّاً كبيراً وأعرب عن إيمانٍ قويّ وثابت يتخلّله حسّ فكاهةٍ وفطانة رائعان . وأصبح روبرت غاردنر الابن من كبار الروّاد الذين ساهموا في جهود بناء المجموعات الاستيطانية في جنوب يوتاه . وهو أسوةً بالكثير الكثير من الروّاد يلهمنا لنمضي قدماً ونجابه بشجاعة التغيّرات والتحدّيات العديدة التي تواجهنا في حياتنا . لنكن مطيعين ومؤمنين ومبتهجين فيما نسير إلى الأمام و"نمضي قدماً في حياتنا"، هذه هي صلاتي باسم يسوع المسيح، آمين.